صورة المثقّف في الرّواية الجزائريَّة المعاصرة " ذاكرة الجسد" لأحلام مستغانمي أنموذجاً .

أ . فايزة طالب .
تحت إشراف : أ.د : بوجمعة الوالي .
(جامعة علي لونيسي 02 . البليدة) .

الملخص:
تعد الرواية أكثر الأجناس الأدبية قدرة على التعامل مع المتغيرات والمنعطفات، حيث ينقل الروائي أفكاره للشخصية الروائية محملا إياها مبادئه وقيمه وهذا ما ينطبق على الروائية أحلام مستغانمي، التي تناولت في روايتها " ذاكرة الجسد" مختلف التحولات التي مرت بها جزائر ما بعد الاستقلال حتى أواخر الثمانينيات من القرن الماضي، مركزة على أوضاع المجتمع وذلك من وجهة نظر المثقف، هذه الشخصية الديناميكية والمؤججة للصراع، محاولة إظهار موقفه ومعاناته في ظل هذه الأوضاع، فبدا فيها شخصية لا منتمية للسلطة فضلت الهروب والابتعاد، حاول في بعض الأحيان أن يكون عنصرا فعالا يحاول تغيير الأوضاع، إلا أنه تعرض لاضطهاد السلطة بعدما فشلت في احتوائه.
الكلمات المفتاحية : المثقف، الشخصية ، الرواية، ذاكرة الجسد، أحلام مستغانمي .

Abstract :
The character of the intellectual in the novel "Memory of the Body" by Ahlam Mostaganemi.
The novel is the most literary genre able to deal with the changes and turns، where the novelist moves his ideas of the character narrative loaded with his principles and values This applies to the novelist Ahlam Mostaganemi، which reached in her novel "Memory Body" various transformations experienced by Algeria after independence until the late eighties Of the last century، focused on the conditions of society and from the point of view of the intellectual، this dynamic and violent character of the conflict، trying to show his attitude and suffering in light of these situations، starting with a character does not belong to the authority preferred to escape and move away، sometimes tried to be an effective element try to change the situations، but was subjected to persecution of authaurity after failing to contain it.

مقدمة:

تعتبر الظروف التي مر بها المجتمع الجزائري بداية من الاستقلال، واعتماد سياسة الحزب الواحد في السبعينيات ثم التخلي التدريجي على النظام الاشتراكي والدخول المحتشم في نظام السوق الذي فتح باب الصراع مع السلطة على مصرعيه. وبتصارع هذه القوى وتناحرها أضحت وقودا للروائيين، فلم يجد مثقفي تلك الفترة وسيلة أنسب لمعالجة تردي الأوضاع في المجتمع من أعمالهم الأدبية محاولين تغيير الواقع ببث أفكارهم، فالأديب هو العنصر الأساسي لزرع الأفكار، ولكل طريقته الخاصة، والأديب الحق هو الذي يعرض لنا أفكاره بأسلوب مؤثر مستخدما التلميح والإشارة دون الافصاح عنها مجاهرة.

يعد العمل الروائي أكثر الأجناس الأدبية قدرة على التعامل مع المتغيرات والمنعطفات الكبيرة فالروائي يغوص في أعماق الأحداث دون أن تعترضه حواجز فنية أو شكلية تعيقه، فهو العنصر المسيطر على الرواية، ينقل أفكاره إلى الشخصية الروائية المخترعة فلا يمكن تصور الشخصية " إلا كمحصلة للتعاون المنتج بين النص والذات القارئة"[1].

فالشخصية هي الوسيلة التي تحرك الأحداث وتنميها وينشأ عن طريقها الحوار الذي يتضمن أفكار الروائي وذلك يقتضي " استعادة وتأسيس ثقافة جديدة ينشأ في ظلها جيل جديد يقرض تدريجيا الجيل القديم، جيل يبدأ بصنع العلاج بعد أن أفنينا دهورا في تشخيص الأمراض"[2]. لكن هذه المعالجة للأوضاع تختلف من أديب لآخر بحسب مخزونه الثقافي سواء أ كان تراثيا أو أم علمانيا، أم ماركسيا، أم شيوعيا، فالإنسان المثقف، يختلف عن الآخرين بمقدار وعيه ومعرفته وقدرته على التأثير، فهو يوظف أفكاره بحسب ثقافته وإبداعه ليكون أحداثا تهدف للوصول إلى مل يطمح إليه عن طريق تحميل شخصياته الروائية أفكاره ومبادئه، وفي خضام كل هذا تبرز لنا شخصية المثقف وكيفية تعاملها مع الواقع المعاش.

لاتزال شخصية المثقف في الرواية شخصية تثير الجدل وتستوقف النقاد بالتحليل والمناقشة، حتى وإن كانت تتسم بالعجز المزمن حيال الواقع المظلم. فالمثقف حسب وجهة نظر السلطة هو الذي يعرف أكثر مما ينبغي، وهي شخصية يعتمد عليها في بنية العمل الروائي، فهي الأداة التي تؤجج الصراع داخليا وخارجيا. فمهمة المثقف حسب وجهة نظر كارل ماركس هي الولوج من غير جهة إلى العالم باعتباره فضاء مفتوح " لقد اقتصرت مهمة الفلاسفة على تفسير العالم بطرق مختلفة في الحين المهم هو تغييره"[3]. فالمثقف حسب رأيه على غرار الفيلسوف يحمل وعيا تاما بالتغيير انطلاقا من ايديولوجيته " في كونه أداة للتغيير الاجتماعي ورافعة له "[4]. فالمثقف رافض للشكل الحالي للعالم يثور من أجل تغييره وتركيبه من جديد. فيرتكز على الماضي والحاضر ليندفع نحو المستقبل، فيدخل في صراع مع الواقع محاولا تفكيكه وإعادة بعثه من جديد، يأخذ على عاتقه حماية المجتمع والتمرد على سلطته ومحاولة تكييفه لصالحه. فيا ترى من هو المثقف؟

---

1. فانسون جوف: أثر الشخصية في الرواية، تر: لحسن أحمامة، دار التكوين، ط1، 2012، ص33.

2 . علي حاكم صالح: المجتمع اللا إجتماعي، تنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، 2011، ص 15.

3 . عمر مهيبل: من النسق إلى الذات قراءة ف الفكر الغربي المعاصر، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2001، ص217.

4 . إبراهيم محمود عبد الباقي: الخطاب العربي المعاصر، عوامل البناء الحضاري في الكتابات العربية، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، فرجينيا الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 2008، ص115.

1_ مفهوم المثقف

كثر النقاش وتعددت وجهات النظر حول تحديد مفهوم شامل ومتكامل للمثقف ومن أبرز من اهتم بذلك المفكر الإيطالي " أنطونيو غرامشي" حيث يرى أن المثقف "كل من يمارس عملا تربويا ثقافيا أخلاقيا"[5] . حيث يوسع دائرة المثقف لتشمل كل " كل إنسان مهما كانت المهنة التي يعمل بها وحتى خارج مجال مهنته يمارس نوعا من النشاط الثقافي، أي أنه فيلسوف وفنان، وإنسان متذوق يشارك في تصور ما عن العالم، لديه خط واع بمسلك أخلاقي ، ومن ثم فإنه يسهم في دعم أو تعديل تصور ما عن العالم ، أي يثير سبلا جديدة من التفكير"[6]. حيث نجد أن غرامشي لا يشترط التعليم للحصول على صفة مثقف، بل يجسد هذه الصفة السلوك والنشاط المعرفي على أرض الواقع؛ إذن فكل إنسان هو مثقف إذا جسد فعل المعرفة في سلوكه الحياتي بوعي مكونا طرقا جديدة للتفكير.

ويقسم لنا غرامشي المثقفين إلى فئتين: مثقف عضوي وهو الذي يدافع عن قيم ومبادئ الفئة المسيطرة على المجتمع، ومثقف تقليدي وهو المثقف الذي اندثرت الفئة التي كان يدافع عنها وبقي شاهدا عليها.

أما الفيلسوف الفرنسي " جان بول سارتر" فيعرف لنا المثقف على أنه " ذلك الانسان الذي يدرك ويعي التعارض القائم فيه وفي المجتمع بين البحث عن الحقيقة العلمية وبين الايديولوجيا السائدة"[7]. ويرى سارتر أن صفة المثقف لا تطلق على العلماء لأنهم محض علماء في مجال معين، أما إذا انتاب هؤلاء العلماء الشعور بالمسؤولية اتجاه العالم وعملوا على محاولة التأثير وتغييره غدوا من فورهم مثقفين. إذن هنا يشترط سارتر في المثقف العزم على التغيير.

كما يوجد مصطلح آخر يقابل مفهوم المثقف "وهو مصطلح ظهر في روسيا القيصرية على يد الروائي "بوبوريكن" في الستينيات من القرن الماضي للدلالة على مجموعة من العلماء والأساتذة والطلبة والفنانين والكتاب ورجال الدين والنبلاء والمتعلمين الذين وجدوا أنفسهم يعيشون على هامش المجتمع والدولة الروسية ابتداء من (1830_ 1840) إلى غاية نهاية القرن التاسع عشر بسبب إقصاء النخبة الحاكمة لهم من احتلال المواقع الاجتماعية والادارية والسياسية والثقافية التي يستحقونها بحكم مؤهلاتهم العلمية والفنية."[8].

كما حاول بعض الباحثون والمفكرون العرب تحديد مفهوم المثقف، حيث يرى علي حرب أن المثقف هو " من تشغله قضية الحقوق والحريات أو تهمه سياسة الحقيقة، أو يلتزم الدفاع عن القيم الثقافية، المجتمعية أو الكونية، بفكره وسجالاته، أو بكتاباته ومواقفه... وقد يكون شاعرا أو كاتبا أو فيلسوفا أو عالما أو فقيها أو مهندسا، أو أي صاحب مهنة أو حرفة

---

5 . عمار بلحسن: الأدب و الإيديولوجيا: المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1984، ص 52.

6 . أنطونيو غرامشي، سلسلة أعلام الفكر العالمي، تر: سمير كرم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دط، دت، ص 182.

7 .جان بول سارتر: دفاع عن المثقفين، تر: جورج طرابيشي، منشورات دار الآداب، بيروت، ط1، 1973.ص33.

8 . عبد السلام حيمر: في سوسيولوجيا الثقافة والمثقفين، ص ص، 209، 210.

أو صناعة"[9]. ويعرفه عبد السلام حيمر على أنه " هذا الكائن الذي كرس حياته في الكون الاجتماعي للبحث عن الحقيقة، واكتشافها ونشرها بين الناس، إنه كائن بروميثي"[10]. وهو عند أيمن عبد الرسول " ذلك الكائن المنشغل بالهم المعرفي والابداعي، سواء كان كاتبا أو فنانا أو صحافيا، إنه كذلك أحد المهتمين بتشكيل الرأي العام، وتجاوز مفهوماته"[11].

أما طه حسين فيرى أن المثقف هو الذي يتعرض للمحن في سبيل الرأي العام أو في سبيل كلمة تقال وليس من قولها بد. ويدخل في فئة المثقفين الأدباء والفلاسفة والمصلحين.

بينما يعرفه الدكتور عبد السلام محمد الشاذلي أنه " إنسان علم ومعرفة وموقف حضاري عام تجاه عصره ومجتمعه"[12]. والمثقف عند زكي نجيب محمود " هو إنسان بضاعته أفكار، سواء أ كانت تلك الأفكار من إبداعه هو، أم كانت منقولة عن سواه، ولكنه آمن بها إيمانا أقنعه بأن يحياها، ثم لا يقتصر على أن يحياها هو بشخصه، بل ويريد أن يقنع بها الآخرين ليحيوها معه، والأرجح أن تكون هذه الأفكار من الصنف الذي يغير الناس نحو ما يظن أنه الأفضل، على تفاوت في ذلك بين فكرة وفكرة"[13].

فزكي نجيب محمود يركز هنا على صفة التغيير فالمثقف حسبه هو كل من يحمل بداخله إرادة التغيير؛ إذ نجده يقول " المثقف لذي أريده بهذا الحديث، هو من طراز ديمقراطيس الذي قال أنه يفضل لنفسه أن يظفر بفكرة تتقدم بها الحياة، على أن يظفر بملك فارس، المثقف الذي أريده هنا من طراز الجاحظ الذي كان بطريقة تفكيره وتعبيره نقطة تحول للثقافة العربية كلها من وجدان الشاعر إلى عقل الناثر، المثقف الذي أريده هنا هو الذي تمثل في عصر التنوير في فرنسا إبان القرن الثامن عشرة، كما تمثل في جماعة إخوان الصفا عندنا إبان القرن العاشر، وهو الذي تمثل في الجماعة الفابية التي عملت بفكرها في الحياة الانجليزية منذ أوائل هذا القرن حتى غيرت مجرى تلك الحياة تغييرا عميق الأثر، أو هو الذي تكتل في الحركة الفكرية العارمة التي أشعلت جذوة النهضة عندنا خلال العشرينيات من هذا القرن، والتي ما نزال نعيش اليوم على ضيائها"[14]

وعاب زكي نجيب محمود على المثقف خوضه في السياسة، بقوله " لو كانت هموم المثقفين أقل من أن تملأ حياتهم كلها لو أرادوا لالتمسنا لهم الأعذار في ملء الفراغ بالمشاركة في الكتابة السياسية برغم علمنا بأنهم في هذه الكتابة السياسية لا يفضلون غيرهم ممن يتخذ منها حرفة، أي أنهم بالكتابة السياسية يتركون ما يحسنون إلى ما ليس يحسنون"[15]. وهو بذلك يخرج السياسي من فئة المثقفين ويقتصر مفهومه على الكتاب فحسب.

---

9 . علي حرب: الممنوع والمتنع " نقد الذات المفكرة"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2005، ص 13.

10 . عبد السلام حيمر: في سوسيولوجيا الثقافة والمثقفين، 13.

11 .زكي العليو: المثقف: مداخل التعريف والأدوار، الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص50.

12 . طاهر لبيب وآخرون: الثقافة والمثقفين في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 2002، ص53.

13 .زكي نجيب محمود: هموم المثقفين، دار الشروق، دط، دت، ص11.

14 .المرجع نفسه، ص 12.

15 . المرجع نفسه، ص 5.

تعددت التعريفات للمثقف لكن تجدر الاشارة إلى أن سمة أساسية لم تذكرها جل التعريفات ألا وهي الخلق الرفيع وبفقدانه يمحى عن حامل العلم والمعرفة سمة المثقف، وقد اتفقت جل التعريفات على أن المثقف هو صاحب علم ومعرفة ، يسعى إلى خدمة مجتمعه، ويقترن كل هذا بالوعي والموقف الدقيق من العالم، بالإضافة إلى الرغبة والسعي لتغيير المجتمع.

وانطلاقا من هذا سنرى هل ما وظفته أحلام مستغانمي من شخصيات في رواية " ذاكرة الجسد" على أنها شخصيات مثقفة ينطبق عليها هذا الوصف أم يجانبه؟

2_ شخصية المثقف في ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي:

تطل علينا شخصية المثقف في ذاكرة الجسد متمثلة في خالد بن طوبال فهي الشخصية المحورية والأساسية في ذاكرة الجسد، والمحرك الأبرز للأحداث والمتفاعل الدائم، فهو شخصية ثورية عاصرت الثورة وشاركت فيها، بدأ حياته مناضلا في صفوف الثورة منذ السادسة عشر من عمره، والتحق رسميا بصفوفها وهو في سن الخامسة والعشرين " سنة 1955 وفي ذات أيلول بالذات"[16].

غير أن هذه الثورة قلبت حياته رأسا على عقب في إحدى المعارك التي دارت على مشارف ولاية باتنة، فأصيب برصاصتين في ذراعه اليسرى، ونقل بالعلاج بتونس، وكان العلاج عبارة عن بتر ذراعه وهذا ما أدخله نكسة نفسية، لم يخرجه منها إلا اقتراح الطبيب اليوغسلافي المعالج " كابوتسكي" الذي أشرف على العملية " إذا كنت تفضل الرسم فأرسم، الرسم أيضا قادر على أن يصالحك مع الأشياء، ومع العالم الذي تغير في نظرك لأنك أنت تغيرت وأصبحت تشاهده وتلمسه بيد واحدة"[17]. لقد كانت كلماته بمثابة الوصفة لذات خالد الحائرة والحزينة على ذراع فقدته، ووطن تحت سطوة الاستعمار.

فخالد أصبح رجلا تنقصه ذراع، وهذا ما شكل لديه هاجس النقص ، عوضه فيما بعد بهواية الرسم؛ إذ بدأ هذه التجربة في تونس لينتقل بعد الاستقلال إلى الجزائر أين عين مسؤولا بدار للنشر والمطبوعات، فكثف دراسته ومطالعته للكتب لتعميق ثقافته العربية، الشعور بأصالة خالد الموروثة شيء بديهي، فهو الانسان المثقف الذي قضى أعوام غربته بتونس في تعلم العربية والتعمق فيها، ليتجاوز عقدته القديمة كجزائري لا يتقن بالدرجة الأولى سوى الفرنسية، وأصبح في بضع سنوات مزدوج الثقافة يعيش بالكتب ومع الكتب.

لقد زاوج خالد بين الهم الوطني والعربي فبعد الاستقلال طغى الحكم العسكري الديكتاتوري " لا أذكر من قال يقضي الانسان سنواته الأولى في تعلم النطق، وتقضي الأنظمة العربية بقية عمره في تعليمه الصمت"[18]. هكذا كان الوطن تحت سيطرة حكم جاء نتيجة انقلاب عسكري، هذا النظام الذي كان يحمل صيغة ديكتاتورية تقضي بتصفية كل من يحمل وعي رافض أو مناهض لنظام الحكم السائد، الذين لم يبتلعوا ألسنتهم على حد قوله " آخرها حزيران 1971 الذي قضيت بعضه في السجن للتحقيق والتأديب يستضاف فيه بعض

16 . أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، ص 33.
17 . الرواية، ص 61.
18 . الرواية، ص 34.

الذين لم يبتلعوا ألسنتهم"[19].وهذا ما تجلى نصيا من خلال ذلك التساؤل المرير الذي يطرحه هذا المثقف " هل توقعت يوم كنت شابا بحماسته وعنفوانه وتطرف أحلامه، أنه سيأتي بعد ربع قرن يوم عصيب كهذا يجردني فيه جزائري من ثيابي ... وحتى من ساعتي وأشيائي ليزج بي في زنزانة فردية هذه المرة زنزانة أدخلها باسم الثورة هذه المرة"[20]. لقد أصبح الوطن " سجنا لا عنوان معروف لزنزانته، لا اسم رسمي لسجنه، ولا تهمة واضحة... والذي أصبحت أقاد إليه فجرا معصوب العينين، محاطا بالمجهولين، يقوداني إلى وجهة مجهولة أيضا، شرف ليس في متناول كبار المجرمين عندنا"[21]. يستمر البطل في تصوير مأساته وخيباته يوم كان مضطهدا، هو الذي عرضت عليه مناصب سياسية في الدولة، لكنه تخلى عنها تفاديا لما قد يكون؟ في الوقت الذي كان فيه بعضهم يتنافسون للوصول إليها، لينتهي به الأمر في الأخير مشرفا على دار للنشر، ليجد نفسه في وظيفة بيروقراطية تخدم النظام بشكل أو بآخر ففي هذه الظروف تعرف على زياد الخليل الشاعر الفلسطيني، الذي غير مجرى حياته، كما كان الدافع الأول لهجرته " ألا تدرين أنه كان سببا غير مباشر في مغادرتي الجزائر"[22]. هذا الشاعر البطل الذي أيقظ ضميره وروح الثورة فيه، بعدما جرفه تيار التبعية للنظام " بعدما تحولت إلى شرطي حقير يتجسس على الحروف والنقاط "[23]، لقد حوله النظام إلى شرطي حقير يتجسس على الحروف والنقاط.

تمرد هذا المثقف على السلطة " ماذا أفعل بهذا الرجل المكابر العنيد الذي يسكنني ويرفض أن يساوم على حريته، وبذلك الرجل الذي لابد أن يعيش ويتعلم الجلوس على المبادئ ويتأقلم مع كل كرسي، كان لابد أن أقتل أحدهم ليعيش الآخر وقد اخترت، كان لقائي بزياد أحد المنعطفات في حياتي" [24] واختار أن يكون سيد نفسه فهو المثقف المتشبع بالقيم " لقد كانت القيم بالنسبة إلي شيء لا يتجزأ، ولم يكن هناك في قاموسي من فرق بين الأخلاق السياسية وبقية الأخلاق"[25]. إن وعيا كهذا أصلب من أن يتحكم فيه، إنه راسخ ومشبع بالقيم، إن رفضه الجلوس على الكراسي التي تشوه ماضيه وشخصيته وهويته الثورية، لأنه كان يحلم بمنصب لائق يستطيع من خلاله التغيير "كنت أحلم بمنصب في الظل يمكن أن أقوم فيه شيء من التغيير دون أن أحدث كثيرا من الضجيج، ودون كثير من المتاعب"[26].ونتيجة لتلك المعاملات والمضايقات شد خالد الرحال وفضل الانسحاب إلى فرنسا، لا شيء سوى الهروب من الاضطهاد السياسي الذي تعرض له سنة1971، واستقر فيها ومارس فيها طقوس الرسم وإقامة المعارض " تعيش في بلد يحترم موهبتك، ويرفض جروحك، وتنتمي

19 . الرواية، ص 283.
20 . الرواية، ص 284.
21 . الرواية، ص283.
22 . الرواية، ص166.
23 . الرواية، ص 168.
24 . الرواية، ص 151.
25 . الرواية، ص 182.
26 . الرواية، ص 167.

لوطن يحترم جراحك، ويرفضك أنت "[27]. هذا المثقف الذي هرب من وطن بات لا يعرف سوى الجراح، وطن يرفض الثقافة والمثقفين.

يعود المثقف إلى الوطن مرة أخرى ليصطدم بالغموض الذي يتخبط فيه الوطن، فلا هو قادر على النهوض من جديد، ولا هو قادر على البقاء على ما كان عليه فترة الاستعمار، يصطدم بالواقع المتأزم الذي انتهى إلى ما لا يحمد عقباه، وبذلك راحت فكرة الوطنية تتنامى ، وكان لابد أن يبحث عن مواطن الخلل، ليصل إلى نتيجة مفادها أن سببها خلل في بناء الوطن حيث يقول " كانت هناك أخطاء كبرى ترتكب على حسن نية، فلقد بدأت التغيرات بالمصانع والقرى الفلاحية والمباني والمنشآت الفخمة، وترك الإنسان إلى الأخير"[28]. فلقد همشت الثقافة بتهميش الانسان، وخطأ عدم استهداف الإنسان بالبناء يستجلي في سلوك الجماهير المنصرفة إلى البحث عن القوت اليومي، وانطفاء تطلعاتها وانعدام ثقافتها وذوقها.

هذا ما آل إليه الوطن في ظل سياسية التوجه الأحادي من خلال الحزب الواحد، وهو ما سيعبر عليه المثقف عاقدا مقارنة بيت شعري قاله عبد الحميد بن باديس ينشد العلى، غير أن حال الوطن ينطق بخلافه ومنه يقول " النشأ الذي تغنيت به لم يعد يترقب الصبح منذ حجب الجالسون فوقنا الشمس أيضا، إنه يتعقب البواخر والطائرات ولا يفكر سوى بالهرب أمام القنصليات الأجنبية تقف طوابير موتانا، تطالب بتأشيرة حياة خارج الوطن، دار التاريخ وانقلبت الأدوار، وأصبحت فرنسا هي التي ترفضنا وأصبح الحصول على الفيزا إليها ولو لأيام... هو المحال من الطلب"[29] .

لقد ترتب عن ترك الانسان أكثر من بؤس، شخصه المثقف من خلال زيارته للوطن حيث عبر عن ذلك " ... يكفي أن تتأمل وجوه الناس اليوم وأن تسمع أحاديثهم، وأن تلقي نظرة على واجهات المكتبات لتفهم ذلك، أصبح البؤس الثقافي ظاهرة جماعية وعدوى تنتقل إليك وأنت تتصفح كتاب"[30]

لقد عر المثقف الوضع الجزائري الثقافي الذي أل إليه الوطن، حيث يرى أن إقامة معرض للرسم سيكون عديم الجدوى طالما أن واقع هذه الفترة يبشر بأشياء تعبر عن بداية التأزم " ماذا يمكن أن يقدم معرض للوحات الفنية من متعة وترفيه للمواطن الجزائري الذي يعيش على وشك الانفجار بل الانتحار ولا وقت له للتأمل أو التذوق، والذي يفضل على ذلك مهرجانا لأغنية الراي"[31] ، إن انطفاء تطلعات المواطن الجزائري وأحلامه، وانعدام ثقافته أدى إلى انفجار الوضع في أكتوبر 1988. إن كل هذا سيدعمه فساد سياسي وحتى يتجنب الوطن كارثة قد تقع بين لحظة وأخرى يجدر أن يصحح تلك الأخطاء ولكن هيهات يقول خالد " عار أن نشتري الوطن ونبيعه في السوق السوداء، هنالك إهانات أصعب على الشهداء من ألف عملية صعبة"[32].

---

27 .الرواية، ص 170.
28 . الرواية، ص148.
29 . الرواية، ص 378.
30 . الرواية، ص 302.
31 . الرواية، ص 180.
32 . الرواية، ص 283.

إن دور خالد بن طوبال كمثقف فاعل دفع بالسلطة لمحاولة احتوائه من خلال تقمصه لمنصب رئيس لدار نشر، ولكنه بقي سائرا في رؤيته الثقافية، تشغل شخصية خالد بن طوبال حيزا كبيرا من الرواية، ومن ثم برزت أزمتها الثقافية أو بالأحرى أزمة الوطن، لقد اختزلت وجع الماضي، الوطن وهمومه، سلطة المثقف " عندما تتسلل السياسة إلى عقل المثقف فتنخر فيه وتبعده عن رؤاه الفكرية التي يوظفها في خدمة المجتمع، ويصبح السياسي يوظفه لخدمة مشاريعه السياسية، وفرض سلطته على فكر المثقف، فيصبح دور المثقف اللجوء إلى الصمت والهروب وراء، ويبقى سجين الخوف من قمع السلطة، أو رهينة أطماعه"[33]. فهل تحتاج السلطة إلى مجتمع منعزل، متقوقع على ذاته تخضعه للتجارب، وتكرس عليه حياة الجوع والفقر لتجسيد مخططاتها للإبقاء على مصالحها، ويبقى المثقف رهينا يشاهد من بعيد، عاجز على إبداء موقفه لتغيير هذا الوضع " فقد كنت ممتلئا كذلك بالمثل والقيم، ورغبة في تغيير العقليات والقيام بثورة داخل العقل الجزائري، الذي لم تغير فيه الهزات التاريخية شيئا"[34] لقد أصبح المثقف يعيش بالمسلمات، ويعي أن وجوده لا يعني شيئا سوى الكبت والإحباط، وقد تكون السلطة قد نجحت في إفرازاتها فأبعدته عن طريقها.

ومن هنا فضل المثقف الحامل لفكرة الوطنية اللجوء للغربة للدفاع عن هذا الوطن بفنه، وظلت هذه الفكرة تكبر إلى أن تحولت إلى قومية عربية، تهتز لآلام الوطن والأمة العربية جمعاء، وترسم غدا لايزال مجهولا، لا يعتبر خالد أن للزمن معنى إن لم يقترن بإنجاز وعطاء، وقد دفعته هذه البنية المعرفية إلى أن يكون مثقفا لا منتمي للسلطة، معاديا لها وربما مقاوما لها ولو بكلمة، وما دفعه لتقمص هذا الدور عجزه عن مزاولة سلوكه الثقافي ورغبته في التغيير.

خاتمة المقال:

بعد الدراسة والتقصي توصلنا إلى مجموعة من النتائج نفردها في نقاط:

1- تعتبر " ذاكرة الجسد" لأحلام مستغانمي ذاكرة شعب وتأريخ لمسيرة شعب من قبل الاستقلال حتى أواخر الثمانينيات من القرن الماضي.
2- برزت لنا في الرواية شخصية المثقف ذات الماضي الثوري والذي زاوج بين الهم الوطني والهموم الشخصية.
3- إن دور المثقف الفاعل دفع بالسلطة إلى محاولة احتوائه.
4- عرف هذا المثقف الحامل لفكرة الوطنية بتمرده على السلطة ونتيجة ذلك تعرض لمضايقات، ففضل الانسحاب واللجوء للغربة للدفاع عن الوطن بفنه، مثقف لا منتمي للسلطة معادي ومقاوم لها ولو بكلمة، وما دفعه لتقمص هذا الدور عجزه عن مزاولة سلوكه الثقافي ورغبته في التغيير.
5- لقد أصبح مثقف " ذاكرة الجسد" يعيش على المسلمات ويعي أن وجوده لا يعني شيء سوى الكبت والإحباط، وقد تكون السلطة قد نجحت في إفرازاتها فأبعدته عن طريقها.

---

33 . عائشة بنور: قراءات سيكولوجية في روايات وقصص عربية، دار الحضارة، ط1، 2004، ص 95.

34 . أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، ص 167.